جامعة البصرة
كلية الفنون الجميلة
قسم الفنون التشكيلية/ الدراسات العليا
الماجستير

المحاضرة الرابعة

- فن العمارة.. نص ولغة جمالية

الدراسات العليا-الماجستير
2021
د. عقيل صالح آل شاروح

فن العمارة نص ولغة جمالية

فلسفة الخطوط في فن العمارة

يتبادر كثيرا الى أذهاننا التساؤل حول الخطوط المعمارية، وهل أنها مجرد خطوط جامدة، أم إن لها معنى وتفسير؟ فضلاً عن التساؤل حول تعدد أشكال الخطوط، وأسباب وظروف استعمال كل نوع منها.

أولاً- أنواع الخطوط المستعملة في فن العمارة

أ- الخطوط المستقيمة:

وهي أقوى تعبير عن الالتزام والتوازن لذا كثيرا ما نراها مستعملة في المشاريع ذات الطابع الإداري والتجاري والديني والطبي، وقد أصبحت حديثا تعبر عن حالة من الكلاسيكية المتطورة بخطوطها الجذابة والمنعكسة على أدق تفاصيل المشروع، على الرغم من أنها كانت أساس العمارات القديمة وعلى مر التاريخ.

ب- الخطوط المنحنية:

وهي التعبير عن الانسيابية والمرونة، وهي تمثل حالة من الحرية والطلاقة لذا كثيرا ما نراها في المشاريع ذات الطابع السياحي والترفيهي وأنواع السكن العالية الرفاهية والفنادق والمنتجعات.

ج- الخطوط العشوائية:

هي تعبير خطي لحالة عدم التحديد والتشتت الذهني، وغالبا ما جنح لمثل هذه الخطوط واستخدمت في المباني ذات الوظائف الخاصة والغير تقليدية كالكبسولات السكنية والمدن المتحركة. ومن أصحاب الأفكار المبتذلة مثل مجموعة **الأرشيغرام** Archigram وما تحمله من أفكار ظهرت في إنكلترا حيث اطلق مجموعة من المعماريين على انفسهم اسم **الارشيجرام** وهم مجموعة من المعماريين الشباب أعلنوا عن نفسهم من خلال نشرة معمارية أسموها باسم المجموعة ١٩٦١ ومن مؤسسيها (بيتر كوك Peter Cook ديفيد غرين David Greene ايكل ويب Michael Webbرون هيرونRon Herron وورن تشوك Warren Chalk دنيس كرمبتون Dennis Crompton) وكانت منطلقاتهم الأساسية والتي اعتمدوها في بيانهم الأول:

- جيل جديد من المعماريين.
- مقياس جديد في العمارة والتفكير والإبداع المعماري.
- توجهات محددة نحو عمارة مستقبلية ذات استمرارية زمنية قليلة.
- التلاؤم مع عالم العلوم والتقنيات والجنوح الى الخيال العلمي.
- أفكار عمرانية وتخطيطية تتناول مواضيع شتى كالمدينة الحاضرةMetropolis
- اتسمت مشاريعهم بمحاولة الربط الفكر العمراني والمعماري بأساليب الإنتاج الصناعي وتقنيات الحاسوب والفضاء والتنبؤ بما ستؤول اليه العمارة في المستقبل.
- عرفت هذه المجموعة بأفكارها التجديدية حول المساكن او المباني ذات الاستمرارية القليلة Ephemeral Architecture التي ترتكز أساسا على فكرة المبنى العملاق Mega structure وذلك بتحديد متوسط عمر افتراضي مختلف للعناصر المختلفة في المنشأة الواحدة بحيث يكون متوسط العمر الافتراضي للهيكل الإنشائي الأساسي أكبر من متوسط العمر الافتراضي لعناصر المنشأة.

ثانياً: تصنيف الخطوط من وجهة نظر تاريخية:

تصنف الخطوط في فن العمارة وفقاً للتيارات التاريخية في العمارة وكما يأتي:

١. العمارة القديمة: اعتمدت الخطوط المستقيمة.
٢. عمارة الحاضر: اعتمدت الخطوط المنحنية.
٣. عمارة المستقبل: اعتمدت الخطوط العشوائية.

وهنا يجب الحذر والانتباه الى أن كل فن معماري جديد عمل على توظيف واستعمال أنواع الخطوط التي أوجدتها العمارات السابقة، وكان هذا التطور نتيجة طبيعية للتطور التقني الذي يحصل ويفتح خيارات ومجالات أخرى أمام المصمم المعماري. لذا ورغم اختلاف أنواع الخطوط المعمارية، إلا أنه كل منها يمثل تميز وانفراد في حالة معينة تختلف باختلاف نوع الوظيفة التي نقوم بالتصميم لها. ويجب الانتباه جديا عند القيام بالتصميم إلى الأمور التالية:

أ- يجب إن يكون اختيارنا لخطوط التصميم بحيث تكون تابعة لوظيفته الأساسية.

ب- عدم الخلط في استعمال أكثر من نمط لأن ذلك يزيد من صعوبة التصميم وزيادة أخطاءه في حال عدم التمكن من ضبطتها سويا بشكل منسجم.

ت- التأكيد على قوة الخط المعماري مهما كان نوعه، فالخط المنحني يجب أن يكون منحني وليس خطا خجولا.

ثالثاً- ارتباط فن العمارة بالحقول الأدبية

أشارت الكثير من الدراسات المعمارية إلى ارتباط العمارة بحقل الأدب وتأثر معظم المعماريين المعاصرين بمفاهيم وإستراتيجيات طرحت في حقول الأدب والدراسات النقدية الحديثة، فقد أشار **تشومي** إلى أبرز أسباب الارتباط وهو تآكل الحدود الفاصلة بين الحقول المعرفية، فيمكن تفكيك تقاليد العمارة باستخدام أفكار مشتقة من الأدب، الفلسفة، السينما، التحليل النفسي،..، كما إن المنظر **واكلي**(Wigley) ينظر إلى العمارة والترجمة كعلاقة فريدة، ويؤكد على تعدد اللغات والقرابة بينها وقد اعتمد **آيزنمان** على نظرية **تشومسكي** للتركيب اللغوية وطور أفكارها، وأشار إلى أنه لا يهتم لمدى صحة تفسيره للنظرية لأنها فقط جسر إلى التصميم المعماري فرغبته أن يقيم في هذا المجال، وليس مجال اللغة.

كما يستعير **جنكز** مصطلح الحوار من الأدب الروائي، والتي طورها الناقد **ميخائيل باختين** عن الحوار الأحادي أو الذاتي، وعلى نفس النسق يطرح **آيزنمان** الكثير من المصطلحات التي تعود إلى حقل الأدب واللغة كالتكثيف، قراءة العمارة كنص (كأنها كتابة) وليس كصورة، بالإضافة إلى مماثلة **روبرت ستيرن** بين فن العمارة واللغة، حيث اعتبر الطرز كاللغات تتطور عبر الزمن وتتكيف للظروف الجديدة، وهي كاللغة تمتلك مقومين هما: التركيب (الشكل) والبلاغة (المحتوى)، وبيّن موقف تيارات العمارة المعاصرة من تلك الثنائية. كما أشار **فنتوري** إلى إمكانية الاستفادة من الأساليب المتداولة في النقد الأدبي و(الأخص الشعر) في النقد المعماري.

العمارة كنص

طرحنا سابقا بان العمارة لغة يمكن قراءتها كبقية اللغات، لذا فهي تشابه نص من حيث البنية والأداء. ويلخص **د. مفتاح** في دراسته لإستراتيجيات التناص مفهوم النص بمجموعة مقومات

أساسية: أنه حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي، وهو تواصلي، يهدف إلى توصيل معلومات إلى المتلقي، تفاعلي لا يقتصر على التواصل، بل إقامة علاقات مع أفراد المجتمع، توالدي، فالحدث اللغوي ليس منبثقاً من عدم، وإنما هو متوالد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية، وتتناسل من أحداث لغوية أخرى لاحقة.

كما يذكر **د. مفتاح** في دراسته عن دينامية النص بأن انسجام النص يحدث على المستوى اللغوي، العاملي، الزمني، والهدفي. فعملية النص المتوالد، تسير في تدرج تنازلي حسب خطاطة محكومة بالفضاء والزمان، فارضة عمليتي الإنتاج والتأويل.. وهذا العمل الدينامي قائم على التعاون والصراع، أي التفاعل.. ومؤدي للقيام الفعل التواصلي بين النص والمتلقي.

اما في فن العمارة فلقد اقترح **ايزنمان** قراءة العمارة كنص، فبدلا من كونها سلسلة تصورات تشير إلى تكوينات أو قيم سابقة، تكون سلسلة من الأحداث، وتصبح العمارة عبارة عن كتابة (الأحداث) بدلاً من إلصاق الصور، بذلك فإن النصوص السابقة (الموروث) تصبح عبارة عن آثار، وما يكتب منها ليس التكوين نفسه، شكله أو حجمه، بل ما يكتب هو فعل الشكل الصلب. تلك الفكرة تمنح العمارة جسداً مادياً مجازياً، وبذلك ترمز العمارة لنفسها من خلال أنظمة أخرى (مختلفة تداخل الحقول المعرفية وتأكل الحدود بينها) من الإشارات والتي تسمى (الآثار). لكنها بعيدة عن القراءة العلمية أو الأدبية (قيمها المسبقة)، فهي تشير إلى فكرة قراءة الأحداث، لا تهتم بتشكيل تصور حول العمارة (تمثيل عمارة ما) بل تسجيل وتعيين عملياتها الداخلية. فالآثار إذن هي تسجيل لدوافع ومحفزات العمارة، وهي تعتبر المتلقي مشارك وفعال في بناء النص وليس مشاهد ومستعمل فقط. إن المعنى الناتج هو معنى بنيوي نابع من الاختلافات المتعددة بين العناصر، فالأشكال زئبقية الدلالة، إذ تصبح الجدلية بذلك بين حضور الشكل وغياب معناه بشكل يضمن نهايات مفتوحة للمتلقي، كما إن المتلقي غير مجبر على معرفة كيفية حل الشفرات، هنا لا تستخدم لتعيين المعاني، بل إن الفعالية الأولى للقراءة هي في إدراك الشيء كلغة، كما هي، وهو بذلك يفترض القراءة الخاطئة التي تحفز على القراءة الثانية أو الثالثة، أي قراءة العمارة كنص.

فن العمارة كنص مسبق:

النصوص المسبقة هي نصوص خارجية تضاف من حقول أخرى يستثمرها **آيزنمان** من خلال تحليلها للوصول إلى المبادئ المؤسسة لها وتداخلها وتراكبها من خلال القياس ليصبح النص الجديد (الفكرة) عبارة عن تناص داخلي يحمل الاختلاف بالأساليب والمعالجات، وبتطعيم تلك النصوص فيما بينها يختفي الأصل ويظهر النص الجديد اعتباطي.

فن العمارة كنص ال ما بين:

يفسره **ايزنمان** يبأنه ينتج من تراكب نصوص واقعية (أصول) تبقى كمخططات ذهنية ضعيفة لكي تسمح بتكوين نص الما بين، فهو ليس هذا أو ذاك، بل ما بينهما. ويستثمر المعماري **تشومي** مبدأ التداخل النصي كنقيض لاستقلالية العمارة الحديثة وأحاديتها، حيث فهو لا يفكك تقاليد العمارة بواسطة أفكار مشتقة من العمارة نفسها كما هو حال ما بعد الحداثة، بل بالإمكان تفكيك تقاليد العمارة اعتماداً على أفكار مشتقة من الأدب، النقد، الفلسفة، السينما، التحليل النفسي، إضافة إلى العمارة ويعتمد **تشومي** على أسلوب جمع وتداخل الأنماط، ويتمثل جمع برنامجين، يلوث أحدهما الآخر، والبرنامج الجديد الناتج (المابين) يستخلص من التناقضات والاختلافات المرافقة لأحدهما عن الآخر.